

تلقي الخطاب البلاغي العربي القديم – قراءة في كتاب "البلاغة والأدب – من
صور اللغة إلى صور الخطاب" لمحمد مشبال

Receiving the ancient Arabic rhetorical discourse – a
reading in the book "Al-Balaghah and Literature-From
pictures of Language to pictures of Discourse" by
Mohamed Michbal

الأستاذة : ليلي جغام (1)

قسم الآداب واللغة العربية – جامعة محمد خيضر – بسكرة

البريد الإلكتروني: Ldjegham@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2022/06/10

تاريخ القبول: 2022/05/09

تاريخ الإرسال: 2022/01/25

الملخص :

يتلخّص حديثنا في هذه المقالة عن مضمون تلقي الخطاب البلاغي العربي القديم عند العرب المحدثين، وذلك من خلال قراءة في كتاب لواحد من البلاغيين والنقاد الذين اهتموا بتراثنا العربي قراءة ونقدا وتقويما، معتمدين على ما جاء في الكتاب المقصود، وما فهمناه من مادته، زيادة على ما أدلى به صاحبه من قول فيه، وما قرأناه في آراء بعض من اطّلع عليه ورأى فيه ما رأى، هذا ما سنكشفه بشيء من التفصيل في نص هذه المقالة .

الكلمات المفتاحية: حجاج، بلاغة، خطاب، أدب، لغة .

الملخص باللغة الأجنبية :

Our talk in this article is summarized about the content of receiving the ancient Arabic rhetorical discourse among the modern Arabs, through a reading in a book by one of the rhetoricians and critics who were interested in our Arab heritage reading, criticizing and evaluating, relying on what was stated in the intended book, and what we understood of its material, in addition to what was stated Its owner said about it, and what we read about the opinions of some of those who viewed it

and saw in it what he saw, this is what we will reveal in some detail in the text of this article .

مقدمة:

نعرض في مقالتنا هذه لكتاب من كتب البلاغة في العصر الحديث هو كتاب " البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب " للأستاذ المغربي محمد مشبال، وذلك لبيان وجه من وجوه تلقي الخطاب البلاغي العربي القديم عند قارئ حديث، قرأ وفهم التراث البلاغي بصورة ما، وأراد أن يكتب على هذه القراءة كتابة أخرى، ونحن إذ نقرأ هذا الكتاب نقرأ كتابة لهذه القراءة، إذن فعملنا هذا هو قراءة على قراءة الكتابة، ولا ندعي في ذلك نقل كل ما جاء في هذا الكتاب، ولن تكون قراءتنا له بمستوى قراءة كاتبه للتراث البلاغي العربي، وإنما هي محاولة منا لتلقي هذا الخطاب .

ولتحقيق ذلك نستعين بفهمنا من خلال قراءتنا المتمعنة لهذا الأثر، وكذا بعض ما جاء عن من قرأ هذا الكتاب، كما ندرج رأي صاحب الكتاب وهو يحدثنا عنه، لنستخلص في الأخير كيف تميّز هذا التلقي، هل كان مجرد نقل لتراث قديم؟ أم هو إضافة على نقل ؟ أم هو إنتاج جديد يمكن أن يكون مقاربا في مادته وإفادته لهذا التراث ؟ هذا كله طبعا من وجهة نظرنا البسيطة .

2. مفهوم التلقي:

التلقي لغة من الجذر اللغوي (لقا)، والذي يعني الاستقبال، وأما اصطلاحا فقد اختلف في معناه حاله حال العديد من المصطلحات، غير أنّ من أغلب من عرّفوه حديثا ربطوه بما يطلق عليه بنظرية التلقي، التي تعني « بشكل رئيسي بعملية استقبال نص ما وتفسير ما يتضمن من معاني من قبل متلقيه، وهي من النظريات التي تطوّرت على يد عدّة منظّرين أمثال هانز روبرت جوس، ولفنجانج ايزر، علما أنّ نظريات التلقي اختلفت منذ القديم إلى وقتنا الحالي من حيث العلاقة التي تربط النصوص، سواء المقروءة أو المعروضة، وما يلعبه من دور فعّال في تفسير وتأويل النص » (مفهوم نظرية التلقي ، 2020) .

وهذا ما نريد استثماره في مقالتنا هذه من مفهوم التلقي، الذي يعني ما يثيره نص ما في متلق ما، وما يتضمنه تفسير المتلقي من أبعاد يود أن يبيّنها أو يكشفها، أو إن أراد

أن يضيف إليها أو يصححها، مراعاة لما هو موجود في زمانه أو في أزمنة سبقته،
بمعايير يوجدها أو يستفيد منها ليوظفها في سبيل تحقيق ما يريد تحقيقه تجاه متلقين آخرين

3. مفهوم الخطاب البلاغي:

إذا أردنا تحديد مفهوم الخطاب البلاغي نجد أنفسنا أمام محددين هما : الخطاب
والبلاغة، و يذهب الدكتور عماد عبد اللطيف إلى أنّ الخطاب البلاغي يتكوّن بحسب
موضوعه من خطابين فرعيين؛ الأول هو خطاب التعريف، ويبحث في ماهية الظاهرة،
ويتضمن عمليات التعريف والاستشهاد والتمثيل، والثاني : خطاب الوظيفة، ويبحث في
جمالية الظاهرة ، ويتضمن عمليات التحليل النصّي، والتعليل البلاغي، وإطلاق الأحكام
القيمية (تحليل الخطاب البلاغي ، 2014) .

4. الناقد محمد مشبال في سطور:

محمد مشبال أكاديمي وناقد مغربي حديث، ولد سنة 1960م، متأثر بأرسطو وابن جني
والجاحظ وبيروني ومحمد أنقار، متخصص في النقد الأدبي، والبلاغة الجديدة، وتحليل
الخطاب، يشغل منصب أستاذ جامعي في التخصصات المذكورة، ويترأس حاليا فرقة البلاغة
وتحليل الخطاب التابعة لمدرسة الدكتوراه بكلية الآداب بجامعة عبد الملك السعدي في تطوان
في المملكة المغربية، حصل على جائزة الملك العالمية في اللغة العربية والأدب في دورتها
الثالثة والأربعين عام 2021م (ويكيبيديا، 2022) .

كتب محمد مشبال العديد من الكتب البلاغية خاصة، والتي نذكر منها : مقولات بلاغية
في تحليل الشعر 1993، بلاغة النادرة 1997، أسرار النقد الأدبي 2002، البلاغة
والأصول - دراسة في أسس التفكير البلاغي عند العرب " نموذج ابن جني " 2007، صورة
الآخر في الخيال الأدبي - ترجمة 2009، البلاغة والسرد - جدل الحجاج والتصوير في
أخبار الجاحظ 2010، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب 2010،
الهوى المصري في خيال المغاربة 2014، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ -
مقاربة بلاغية حجاجية 2015، كما ترجم بالاشتراك كتب أخرى من مثل (الصورة في الرواية

1995، والحجاج في التواصل 2013، موسوعة أكسفورد للبلاغة 2015 (ويكيبيديا ، 2022).

5. مضمون كتاب "البلاغة والأدب" لمحمد مشبال:

كتاب البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب - كتاب من الحجم الصغير نوعاً ما، يتضمن حوالي 150 صفحة، تتدرج فيها مقدمة وخمسة عناوين؛ المقدمة بعنوان: ما البلاغة، أما العناوين الخمسة فهي على الترتيب: 1 - عن تحولات البلاغة. 2 - عن البلاغية: بين بلاغة الأدب وبلاغة الحجاج. 3 - البلاغة العربية وصور الخطاب. 4 - نحو بلاغة أدبية. 5 - في نقد مقاربات بلاغية.

يحتوي كل عنوان عناوين فرعية، فالعنوان الأول مثلاً يتفرع عنه: * قدر البلاغة * الحجاج والتخييل * انشطار البلاغة * محنة البلاغة * تحولات البلاغة، وهكذا بالنسبة للعناوين الأربعة الأخرى، ويختم الكتاب بخلاصة هي خاتمة وتنمة نتائجه.

6. رأي محمد مشبال في كتابه "البلاغة والأدب":

أجرينا بخصوص ذلك حواراً مع الناقد محمد مشبال عبر تقنية الماسنجر، وسألناه عن مضمون كتابه وما جاء فيه، بغية التعرف عن قرب أكثر على هذا المنتج الفكري، فكانت رده كالتالي:

ما طرحناه في هذا الكتاب هو محاولة إعادة الصلة بين البلاغة والأدب حتى لا نحصر البلاغة في الحجاج، وفعلنا هذا ما قمنا به في كتابنا الأخير "الرواية والبلاغة - نحو مقارنة بلاغية موسّعة للرواية العربية"، وهو تطوير لأفكار سابقة في كتابين أحدهما "مقولات بلاغية في تحليل الشعر" والآخر "بلاغة النادرة" (مشبال، 2018).

كتابنا "البلاغة والأدب" هو دعوة إلى التعامل مع البلاغة باعتبارها علماً كلياً شاملاً للأدبية والخطابية، كما هو دعوة لتوسيع موضوع البلاغة وعدم حصرها في قوائم أسلوبية محدودة، أي ما أسميته صور الخطاب بدل صور اللغة. في مشروعني توجّهان يكشفان رحابة البلاغة؛ توجه بلاغي أدبي، وتوجه بلاغي حجاجي (مشبال، رأي في الكتاب، 2018).

كتابنا " البلاغة والأدب " يمكنك أن تعتبره حوارا حول إعادة بناء مفهوم البلاغة لأجل مرحلة جديدة تكون البلاغة هي الشجرة التي تتفرع منها الشعرية والحجاج أو البلاغة الأدبية وبلاغة الحجاج، وكان لابد من توسيع مفهوم بلاغة الأدب وإعادة الحياة إليها بالاستناد إلى اجتهادات عربية وغربية، ومن هنا كان اللقاء مع أمين الخولي أحد دعاة توسيع البلاغة رغم أنه لا يستخدم مصطلح البلاغة (مشبال، رأي في الكتاب ، 2018) .

7. كتاب " البلاغة والأدب " في ميزان التأليف:

يتناول كتاب " البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب " للباحث الأكاديمي والناقد محمد مشبال إشكالات نقدية أدبية تتعلق بعلاقة البلاغة بالأدب؛ وهو الإشكال الذي طالما شغله منذ كتابه الأول " مقولات بلاغية في نقد الشعر " وبلوره عبر كتبه الأخرى في سياقات متنوعة ومتعددة ارتبط بعضها بدراسة الأدب العربي القديم مثل النوادر والأخبار، أو تعلّق بعضها الآخر بالأدب الحديث وخاصة الرواية، وقد جمعت هذه الأعمال بين النظر والتطبيق، وبين التحليل الدقيق والسجال النقدي الفعّال (قراءات وإضاءات - بلاغية في كتاب (البلاغة والأدب ...)، 2013) .

ويأتي كتابه الأخير في إطار هذا التراكم لي طرح قضايا على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للمشتغلين بالنقد الأدبي، وخاصة لمن يهتم بالبلاغة ومجالات توسيعها في الدرس الأدبي، فما الجوانب التي تعرض لها في كتابه الجديد هذا ؟ وهل للبلاغة مكان وحيز في الدرس النقدي / الأدبي الحديث ؟ وما النتائج التي توصل إليها الباحث في رحلته مع البلاغة كما طورتها بعض الاتجاهات النقدية الحديثة؟ وهل يمكن أن تحل المقاربة البلاغية محل المناهج النقدية الحديثة التي تبلورت في سياق العلوم الإنسانية بشتى مشاربها وسياقاتها المعرفية ؟ (قراءات وإضاءات - بلاغية في كتاب (البلاغة والأدب ...)، 2013)

يتكون الكتاب من خمسة فصول - هي المبيّنة أعلاه في رأي صاحب الكتاب - ندرك من خلالها أنّ أهمّ ما تناوله الباحث من قضايا في كتابه ترتبط بقضية توسيع البلاغة لتشمل الخطاب في مختلف تجلياته الأسلوبية اللغوية والتداولية / الحجاجية، وقد ركّز على معطيات نقدية تاريخية تبين كيف كانت البلاغة درسا جامعا للأمرين منذ القدم، لكن تحولاتها ضيّقت

من أفاقها وحصرتها إمّا في الصيغ اللغوية الأسلوبية أو في البعد التداولي (قراءات وإضاءات - بلاغية في كتاب (البلاغة والأدب ...)، (2013).

وفي هذا السياق يشير محمد مشبال إلى أنّ مؤرخي البلاغة ومنظريها أكدوا أنّ تحوّل البلاغة من المنظور الحجاجي إلى المنظور الجمالي كان تضيقاً للبلاغة القديمة واختزالاً لمفهوماتها وتقويضاً لأساسها النظري، باعتبارها نظرية للخطاب الحجاجي من حيث المقاصد والبناء والأسلوب، وبهذا يلجّ الناقد على ضرورة الإنصات إلى النص الأدبي والانطلاق من بلاغة نوعية في التعامل معه دون الارتهاق دائماً إلى المبادئ الكلية والمقولات الجاهزة التي ضيّقت أفق البلاغة، ولعلّ هذا الطرح النقدي هو الذي يعدّ مدار هذا الكتاب وعلة وجوده (قراءات وإضاءات - بلاغية في كتاب (البلاغة والأدب ...)، (2013).

ويخلص صاحب هذه القراءة أنّ ما يمكن أن نستنتجه من قراءة هذا الكتاب أنّ محمد مشبال يرى أنّ البلاغة لا يمكن أن يستغنى عنها في دراسة النص الأدبي والكشف عن قيمه الجمالية والإنسانية، ومن ثمّ فإنّ المناهج النقدية الأدبية بمختلف مشاربها وسياقاتها تستثمر معطيات البلاغة شاءت أو أبت، ولعلّ هذا الحضور اللفت للبلاغة هو الذي قد يجعل منها مقارنة قائمة بذاتها في تناول النص الأدبي وكشف خصوصياته الفنية حتى دون اللجوء إلى المناهج التي ذهبت بعيداً عن الإبداع واهتمت بالتنظير والتعقيد (قراءات وإضاءات - بلاغية في كتاب (البلاغة والأدب ...)، (2013).

8. قراءة الخلاصة:

الكتاب خبر لما كان للبلاغة عند أهلها قديماً وحالها لما هي عليه حديثاً واستشراف بتمني صورة قادمة لها في مستقبل العصور، لأنّ محمد مشبال في بداية كتابه يرسم عنوانه الأول متسائلاً ما البلاغة ؟ ليقول في مضمونه مجيباً عن ذلك مستدركا « لكن ما يميّز المقاربة البلاغية من غيرها من المقاربات النصية هو أنّها تنظر إلى النص من زاوية تأثيره في المتلقي؛ تتحرّك البلاغة في هذه المسافة بين النص والمتلقي؛ تتساءل عن كيفية التأثير فيه جمالياً وتداولياً . وبذلك يتداخل في التحليل البلاغي ما هو جمالي بما هو نصّي داخلي، بما هو أيديولوجي وتداولي ... » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب

، 2010، صفحة 9)، وهو هنا يحدّد البلاغة تحديداً دقيقاً يميّزها عن غيرها من المقاربات، وكأنّه يريد أن يضع أرضية لما سيناقشه في العناوين الآتية .

حاول صاحب الكتاب في عنوانه الثاني " **عن تحولات البلاغة** " أن يكشف عن تأرجح البلاغة بين صبغة الفن وصبغة الإقناع، مشيراً إلى أن الوجه الأول تضيقاً لمفهوماتها ولوظيفتها التي يجب أن تكون أوسع من ذلك لتعلّقها بالمقاصد والبناء والأسلوب على رأي صاحب الكتاب، وذلك راجع إلى « فصل أرسطو بين البلاغة والشعرية؛ حيث تختصّ الأولى بدراسة النصّ التداولي، بينما تختصّ الثانية بدراسة النصّ التخيلي » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 15)، وهو بذلك أي أرسطو يبعدها عن الجانب التخيلي، ويصرّ على ارتباطها الوثيق بجانب الإقناع والحجاج .

ويأتي العنوان الثالث من الكتاب " **عن البلاغية بين بلاغة الأدب وبلاغية الحجاج** " ليقول محمد مشبال أن سيطرة الأدب كانت واضحة على مفاهيم البلاغة ومسمياتها، وذلك لأنّ « اقتران البلاغة في الأذهان بالأسلوب الجميل والخطاب الممتع يشهد عليه تاريخ طويل من عكوف البلاغيين العرب على لغة الشعر وكلام البلغاء، على نحو ما يشهد عليه - في الثقافة الغربية - تاريخ تطور البلاغة وتحولها إلى مرادف للأدب » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 49) .

وذلك يعني أنّ العرب اتخذوا من بحث البلاغة في جمال الأسلوب واقتربانها بفنون القول سبباً في جعلها مرادفاً للأدب في كلّ فنونه وأغراضه، غير أنّ ذلك يمكن أن ردّه بوجه ما على الأقل إلى الجانب التواصلّي على اعتبار « تجذر البنيات البلاغية في الأدب كما هي في غيره من أنساق التواصل، وإن كان ذلك بدرجات ونسب متفاوتة؛ أي أنّه تحليل يروم وضع النصوص الأدبية في نسق الخطاب التواصلّي العملي متوخياً رصد ما تتطوّر عليه من مبادئ التواصل العامة » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب، 2010، صفحة 52)، وذلك تفعيل للنص في جانبه التأثيري، الذي يبرهن على وظيفته الإقناعية .

وأما في العنوان الرابع " **البلاغة العربية وصور الخطاب** "، فقد جعل محمد مشبال من البلاغة خطاباً موضوعه رصد سمات الملفوظات الأدبية (نصياً ونوعياً) وفهمها وتأويلها، وبالتالي هي لا تتوقف عند إدراك هذه الملفوظات من حيث هي كذلك، بل تتجاوزها

إلى فهمها إيّاها واستبدالها بغيرها فيما يقع بمستواها، وذلك يدل أنّ البلاغة بلاغتان، إحداها تدرك وجود الملفوظ في سمته الاستعمالية، والثانية تعمل على فهمه وتأويله ليصلح إيصاله بصورة ما تبرهن على وجوده، ليمثل ورود ذلك في نموذجين عبّر عنهما بعنوانين فرعيين هما الأول : البلاغة القديمة وحقل السمات (مشبال، البلاغة والأدب - من صور البلاغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 73)، وأشار فيه إلى ما يعرف عن البلاغة بوجه عام هو ذلك الأثر الوجداني الذي يوقعه المتكلم في نفس السامع من أجل إيصال فكرة ما قاصدا بها التعبير عن رؤيته في مجال واسع من الأساليب الموظفة في فن من الفنون، غير أنّه كشف أن ذلك ليس إلا انطباع أولي يجزّ وقعا آخر أشد، أي « إنّ هذه السمات تكتسب صفتها البلاغية من كونها صيغة من الصيغ التي تجسّد الوعي بالغرض الشعري باعتباره تجربة إنسانية وموقفا في الحياة؛ فقد أفرزت مواقف الحرب والشدة - على سبيل المثال - في الشعر العربي جملة من السمات البلاغية » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 82) .

والثاني : البلاغة العربية الحديثة : نحو بلاغة النص الأدبي (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 83)، وقسمه بدوره إلى عنوانين هما : البلاغة الموسّعة، وجاءت العديد من المحاولات التأليفية في ظل هذا الاتجاه، ومثّل لذلك بمحاولة « أمين الخولي التي حملت في طياتها كثيرا من النقد للبلاغات المعمّمة ودعوة صريحة إلى صياغة بلاغات نوعية خاصة » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 83)، و نحو بلاغات نوعية، وهو نتاج نقد الاتجاه الأول، الذي رأى أنّ لا جدوى من البلاغات المعمّمة، ودعا صراحة إلى وجوب تفعيل نوع آخر من البلاغة، ووضع محمد مشبال تمثيلا لذلك الباحث المغربي محمد أنقار « الذي صاغ تصوره لبلاغة النص الأدبي على أساس إعادة بناء مفهوم البلاغة وتوسيع حدودها لتستوعب أنواعا أدبية - مثل الرواية والمسرحية المكتوبة - لا تمتثل جمالياتها لمعايير البلاغة المقننة ونماذجها القديمة والحديثة ... » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 87) .

وجاء العنوان الخامس من الكتاب " نحو بلاغة أدبية " بيانا لوجود أكثر من بلاغة في تراثنا العربي وجب فرزها واختيار الصالح منها لأنها على اعتبار قول محمد مشبال : « هذه البلاغات غير مستقلة بذاتها في كل الأحوال، بل تداخلت واختلطت وأصبح من الصعب فرزها ... » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 99)، وأشار إلى أنّ الدارسين للبلاغة قد اختاروا في كل هذا الركام ما أسموه بالبلاغة الأدبية في مقابل بلاغات أخرى اصطلاحوا عليها تسميات مختلفة من مثل البلاغة النظرية، البلاغة الكلامية، البلاغة الرسمية، البلاغة الاصطلاحية، البلاغة المدرسية، البلاغة المتفلسفة ...، ثم خاض مشبال بعد ذلك في تفسير هذه البلاغات والتمثيل لها .

وميّز في ذلك بين صنفين؛ « الصنف الأول هو ما أطلقوا عليه تسمية "البلاغة النظرية"؛ أي البلاغة من حيث هي علم نظري ينزح إلى التقنين والتقييد، والصنف الثاني هو ما يمكن تسميته بـ "البلاغة الحجاجية"؛ البلاغة التي تنظر إلى النص من حيث فاعليته وتأثيره العملي في المتلقي » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، الصفحات 99 - 100) .

وأشار في هذا العنوان إلى تصور سيّد قطب الموجّه إلى ناحية جديدة في البلاغة هي التصوير في القرآن الكريم، الذي شكّل النظر فيه « من حيث هو نص أدبي أو نص بليغ مناسبة إلى إعادة النقاش حول موضوع البلاغة وحدودها وأدواتها وإمكاناتها وغاياتها . فالسياق الأدبي الذي انطلق منه هذا النظر سياق مغاير يحثي بالأدب من حيث هو نشاط جمالي منزّه عن الأغراض العملية والنفعية؛ نشاط يعبر عن الإحساس الجمالي عند الإنسان؛ فهل تملك البلاغة القدرة على وصف هذا الإحساس وتفسيره على نحو ما تمّت ترجمته أو تجسيده في صور قرآنية بليغة ؟ » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 101) .

كما تحدّث في هذا العنوان أيضا عن نقد البلاغة النظرية أو ما أسماه بـ " النظرية البلاغية القديمة "، ولخص ذلك في بعدين؛ التعليمي والتحسيني، ذلك أنّ « البلاغة النظرية جهاز من القواعد والمصطلحات التي ينبغي حفظها وإتقان استخدامها في الوصف أو التصنيف بعيدا عن أي خدمة يمكن أن تسديها للأدب وللإنسان . وعلى هذا النحو تتحوّل

البلاغة من أداة مسعفة في الفهم والتأويل إلى غاية تطلب لذاتها؛ البلاغي ليس من يتغلغل في أعماق النص ويسهم في فك أسرارها الجمالية، ولكنّه المتفقه في وضع الحدود الدقيقة بين مختلف الصور ... » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 102)، ويعني ذلك أنّ البلاغة صارت قواعد جامدة يكفي من الممارس أن يتعلّمها ويطبّقها فيوصف بالبلاغة، وهذا كان مكن النقد لهذه البلاغة وضرورة الرفع من قيمتها وتحسين صورتها .

وتوصّل في خاتمة هذا العنوان إلى خلاصة مثّلها عنوان جوهر البلاغة : تلازم التصوير والحجاج، حيث يوجي مضمون هذا العنوان أنّ البلاغة الحقّة هي ما تجاوزت فيها غاية التصوير الجمالي مع غاية الحجاج الإقناعي، وهذا ما بات واضحا في ما وجهت إليها الدراسات الباحثة في القرآن، وأضحى حقيقة مقنعة للدارسين العرب المحدثين بعد ذلك، إذ « لا نستطيع أن نفصل في بلاغة القرآن بين البعدين التصويري الجمالي وبين البعد الحجاجي التداولي؛ فهي تقوم على هذا التلازم، ولا يجوز حصرها في أحدهما ... » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، الصفحات 129 - 130)

أما العنوان الأخير في الكتاب فهو " في نقد مقاربات بلاغية "، وقد تناول فيه بحسب قوله تعميق النظر في نقد مقاربتين بلاغيتين للنثر السردى إحداها فصلت البعد الإيديولوجي عن البعد الجمالي في تعاطيها ما يطلق عليه برواية الأطروحة، والثانية صدرت عن بلاغة الشعر في تعاطيها أنواع أدبية سردية في عنوانين فرعيين : الأوّل هو بلاغة الرواية وسلطة البعد الجمالي (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 113) .

ومثّل في العنوان الفرعي السابق بالمقاربة التي قام بها محمد أنقار للرواية الإسبانية الاستعمارية، وكشف أنّ كون الرواية كذلك يرجح كفة الأيديولوجية على كفة التصوير الجمالي، ويجعل الكفة الثانية أكثر خصوصية بهذا النوع الروائي، ذلك أنّ « النقد الجمالي على نحو ما عرضه علينا الباحث في تحليله لنصوص الرواية الاستعمارية، موضوعه الكشف عن صيغ الإبداع الروائي وأسرا القيمة الجمالية المحقّقة في النصوص . وظيفة الناقد في هذه الحال أن يجيب عن السؤال كيف بني النص الروائي وكيف نحدّد قيمته في سياق علاقته

بالقيم الجمالية المحددة للجنس الروائي بشكل عام وليس لنوع مخصوص متمثل في رواية الأطروحة ؟ ! » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 143) .

والعنوان الفرعي الثاني هو : السرد والتخييل الشعري (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 144)، ومثل له بمحاولة العمري - البلاغي المغربي - في كتابه " البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، الذي سلط فيه الضوء على نوع جديد من الخطاب لم نعهده منه قبلا هو الخطاب النثري السردى عبر السيرة الذاتية وجنس الخبر، الذي يعني أنّ « السيرة الذاتية سردى لا يخلو من سمات شعرية وعجائبية . واضح أنّ ثنائية الخبر والوجدان لا يمكنها أن تخدم أجناس النثر السردى في ظل تصور يقيس البلاغة بمدى الاقتراب أو الابتعاد من محور الوجدان الذي يحيل إلى الشعر كما هو معروف ... » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 146)، وهو في ذلك يقرب فنيات السرد من جماليات الشعر .

وخلاصة لهذه القراءة السريعة في مضمون الكتاب نصل إلى أنّ محمد مشبال أراد في كتابه هذا أن ينقل إلينا قراءته للتراث البلاغي العربي، وما قدّم فيه من قراءات سبقته أو تزامنت معه، ومحور ذلك تأرجح البلاغة بين الإقناع والجمال، وهذا ما شهد عليه تاريخ البلاغة في مختلف أطواره، غير أنّ البعض أراد أن يبعدها عن ذلك ليدخلها في دائرة تحدها في قائمة من الصور والمفاهيم .

وغاية محمد مشبال من وضع كتابه هذا هو توسيع أفق البلاغة لفتح المجال لها لتضطلع بوظيفتها التي لا تقف عند كونها معبّرة عن مخيال مضمنا في الخطاب الأدبي، بل تتجاوز ذلك لتعبّر عن فهم تداولي وغاية إقناعية حاجية، وهو بذلك كما صرح في خاتمة كتابه يريد أن يفتح أفقا جديدة للبحث في مثل هذه الموضوعات إذ يقول في نهاية كتابه « خلاصة القول؛ ينبغي أن أعترف أنني لم أصغ هنا نتائج لدراسة طويّة فصولها بقدر ما كنت أشقّ سبيلا لحديث آخر » (مشبال، البلاغة والأدب - من صور اللغة إلى صور الخطاب ، 2010، صفحة 151) .

9. خاتمة:

ختاماً نقول أنّ قراءتنا هذه قراءة سريعة حاولت أن تستبين بعض ما طرحه مشبال في كتابه، نرجو أن تكون بداية لقراءات أخرى في كتابات هذا المؤلف البلاغية خاصة، لأنّها تزخر بالكثير من المفاتيح لعدد من الموضوعات، ولا تقتصر دراسات مشبال على الجانب النظري، بل يزوج بين النظري والتطبيقي .

وفي الأخير لا يسعنا القول إلاّ أن نرجو أن تكون دراستنا هذه مبعث فائدة واستفادة لكلّ من يطلع عليها .

10. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

مشبال محمد، (2010)، *البلاغة والأدب - من صور البلاغة إلى صور الخطاب*، الاسكندرية - مصر، دار العين للنشر .

• مواقع الأنترنت:

- تحليل الخطاب البلاغي، <https://www.alkalimah.net> (20 / 01 / 2022)

- بقجة أدب، *قراءات وإضاءات - بلاغية في كتاب (البلاغة والأدب ...)*،

<https://www.bukja.net>، (20 / 01 / 2022) .

- محمد مشبال، رأيه في الكتاب (حوار عبر تقنية الماسنجر)، المحاور ليلي جغام، (05 / 2018/11) .

- اقرأ من السوق المفتوح (2020)، مفهوم نظرية التلقي، <https://read.opensooq.co>

(20 / 01 / 2022) .

- ويكيبيديا (2021)، <https://ar.m.wikipedia.org> (21 / 01 / 2022) .